

ولكن أصحاب الجهل المركب فى مصر لا يكون ذهنهم خاليا بل مليئا بمعلومات خاطئة أو ضارة.

ولكى تعلم الواحد منهم شيئا ، يجب أولا أن تفرغ ذهنه وتنظفه من هذه البلاوى التى تملؤه. وأسوأ هذه البلاوى هى الخرافات التى يؤمنون بها، وأولها أن الإنسان مهما فعل فهو لن يستطيع - ولا يجوز له - أن يغير ما كتب عليه. فالعلم لا قيمة له ، والعلاج بالطب لا ينفع ، والعقاقير والوصفات البلدية هى الطب ، وعلى الإنسان أن يترك نفسه بين يدى الأقدار تعمل به ما تشاء ، فإنه لن يستطيع أن يغير شيئا مهما فعل. لهذا نجد الواحد منهم ينزل إلى ماء الترعة الموبوء بالبلهارسيا ويستحم فيه ويقول: هل تصدق ما يقولونه لك من أن البلهارسيا تأتى من هذه المياه؟ وهل معقول أن الله سبحانه يخلق ماء موبوءا؟ تعال يا شيخ ولا يهملك ، وما كتب عليك لابد أن يكون ، وهل تظن أنك إذا لم تنزل الماء فإنك لن تمرض؟ كلام فارغ!..

وهذا الطراز من الجهل المركب الشرير يرثه أولئك الناس من بيوتهم ، ويؤكدده فى أذهانهم شيوخ مشعوذون ممن يلوذون بمن يسمونهم الأولياء والصالحين ، وهؤلاء المشعوذون أجهل من الناس ، ولكنهم مكارون لؤماء ، وهم لهذا يسيطرون على أذهان أولئك الناس ويملاؤن أذهانهم بأمثال بلدية كلها جهل وخرافات.

وتلك هى مشكلة الجهل الكبرى فى مصر. إنه جهل مركب معقد. إنه جهل إيجابى فعال وضار! وانظر إلى الأحياء البلدية وأكوام الأطفال والأولاد فيها. مهما قلت لهم فهم لن يتوقفوا عن الإنجاب أبدا. وما رأيت مشهدا من مشاهد الفقرة التليفزيونية المسماة «ريبورتاج» إلا أذهلتنى كثرة الأولاد فيها. لا يمكن أن يقل عدد الأولاد فى كل عائلة عن ستة أو سبعة. وهؤلاء الأولاد يبدون فى العادة كالمفاريت ، لأن أحدا فى الحقيقة لا يريبهم ، وكلهم يذهبون إلى المدارس ، وهناك لا يتعلمون إلا القراءة